## الفصل الثامن

## كتابات ابن أبى طى عن الخلافة العباسية ودولة السلاجقة
## (٥٠١-٥٢٩ هـ/ ١١٠٧-١١٣٥ م)

تعد كتابات ابن أبى طى فى هذا الفصل ذات أهمية كبيرة، لأنها غيرت فى رأينا من تصنيفه بين المؤرخين، فقد كان الشائع عنه من خلال ما حفظه له المؤرخ «أبو شامة» (ت ٦٦٥ هـ/ ٦٦-١٢٦٧ م) من كتابات فى كتابيه «الروضتين فى أخبار الدولتين النورية و الصلاحية»، و «عيون الروضتين» أنه كان مؤرخا هاما لتاريخ الخلافة الفاطمية فى مصر خاصة ما أورده من أحداث عن العقد الأخير منها، وأيضا أوضحت كتاباته عن تاريخ الدولة الأيوبية فى مصر وتوسعاتها الخارجية فى «اليمن وبلاد الشام والمغرب» أنه كان مصدرا مهما من مصادر تاريخ الدولة الأيوبية.

و لكن أثبتت بعد ذلك كتابات ابن أبى طى التى وردت فى كتابه «معادن الذهب فى تاريخ الخلفاء والملوك وذوى الرتب»، والتى حفظها له المؤرخ «ابن الفرات» (ت ٨٠٧ هـ/ ٤-١٤٠٥ م) ضمن كتابه «تاريخ الدول والملوك» فى الأجزاء الستة الأولى من الكتاب - والتى لا تزال مخطوطة - أنه كان يؤرخ لمعظم تاريخ العالم الإسلامى، واتبع فى ذلك المنهج الذى صار عليه كثير من المؤرخين، وبمعنى آخر اتسع مجال كتاباته، وخرج عن دائرة النطاق الذى اشتهر به، فوجدنا له ضمن هذا الكتاب بالإضافة إلى كتاباته عن مصر وبلاد الشام، كتابات أخرى تتعلق بتاريخ المشرق الإسلامى.

ولهذا تعد كتابات ابن أبى طى عن تاريخ المشرق الإسلامى ممثلا فى تاريخ دولة السلاجقة وتاريخ الخلافة العباسية من التواريخ المهمة التى تناولها، ولم تقل أهمية هذه الكتابات عن كتاباته الأخرى، بل نستطيع أن نقول إنها كانت فى بعض الأحيان أساسا لكتابات المؤرخ ابن الأثير، حيث وجدنا بعض الأحداث التى أوردها كل منهما قد تماثلت

فى مضمونها وأسلوب كتابتها، وأحيانا فى تسلسل ذكر كل منها لنفس هذه الأحداث، ولكن تميزت رواية ابن أبى طى بإضافة بعض التفاصيل، وسوف نوضح الأمثلة التى توضح هذا من خلال أحداث الفصل.

ويؤخذ على كتابات ابن أبى طى فى هذا الفصل أنه لم يتحرى الدقة فى ضبط تاريخ بعض الأحداث وكتاباتها فى عامها الصحيح الذى اتفق عليه غيره من المؤرخين الذين كانوا معاصرين للأحداث أو المعاصرين له، وكان التاريخ الذى يورده يسبق فى بعض الأحيان وقوع الحدث بغام.

وقد تركزت كتابات ابن أبى طى عن تاريخ المشرق الإسلامى فى ثلاثة موضوعات:
أولا: تناولت كتاباته العلاقة بين الخلافة العباسية ودولة السلاجقة، وتمثلت هذه العلاقة فى توضيح تدخل السلاطين السلاجقة فى تعيين الوزراء العباسيين، كذلك فى ذكر وصول السلطان السلجوقى إلى بغداد وقضائه بها بعض الوقت.

ثانيا: تناولت كتاباته العلاقة بين سلاطين السلاجقة والخلافة العباسية وأمراء كل من: الموصل، و الحلة، ودمشق. وأوضحت موقف السلطان السلجوقى من الإمارات الصليبية التى تأسست فى منطقة الجزيرة وبلاد الشام فى العقد الأخير من القرن الخامس الهجري، الحادى عشر الميلادى، وأبرزت اهتمامه بحركة الجهاد، وحثه أمراء الموصل والجزيرة على مقاومة هذه الإمارات، وبصفة خاصة إمارة الرها الصليبية بحكم موقعها بالقرب من الموصل، واهتم ابن أبى طى أيضا بتوضيح العلاقة بين الخلافة العباسية وأمراء الموصل والحلة، وما تعرضت له الخلافة من غزوات من قبلهم.

ثالثا: أورد ابن أبى طى بعض الأحداث التى تتعلق بتاريخ دولة السلاجقة الداخلى.

## أولا: العلاقة بين الخلافة العباسية ودولة السلاجقة

كانت العلاقة بين الخلافة العباسية و «دولة السلاجقة»[١] فصلا من الفصول التى أظهرت مدى الضعف الذى وصلت إليه الخلافة العباسية. وقد ظهرت أولى ملامح الضعف فى كيان الخلافة العباسية من خلال عجزها عن الحفاظ على وحدة البلاد الإسلامية تحت قيادتها، حيث بدأ تفكك الإمبراطورية الإسلامية منذ عهد الخليفة العباسى «المأمون» (١٩٨ ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣ م) وظلت البلاد الإسلامية تستقل عنها الواحدة تلو الأخرى، وقد استقلت بعض هذه الدول عنها تماما، وابعض الآخر احتفظ

بالسيادة الاسمية للخلافة العباسية[٢]. ثم بدأ الضعف يسرى داخل كيان الخلافة العباسية نفسها فى العراق، وتجلى هذا الضعف فى خضوع الخلافة لحكم دول أخرى تولت الحكم الفعلى فيها، فقامت بها «الدولة البويهية»[٣] (٣٣٤ ـ ٤٤٧ هـ/ ٩٤٥ ـ ١٠٥٥ م)، ثم خلفتها دولة السلاجقة (٤٤٧ ـ ٥٥٢ هـ/ ١٠٥٥ ـ ١١٥٧ م)، ولم يكن للخلفاء معهم شئ سوى ذكر اسمهم فى الخطبة ونقش اسمهم على السكة[٤].

---

(١) السَلاجقة : ينسبون إلي سلجوق بن دقاق أحد رؤساء الأتراك ، وكانوا يعيشون في بلدة نور بخاري ، ثم قام ولده ميكائيل ومن بعده حفيده طغرلبك بتكوين دولة السلاجقة في بلاد فارس علي حساب أملاك الدولة الغزنوية ( ٣٥١ ـ ٥٨٢ هـ/ ٩٦٢ ـ ١١٨٦ م ) ، واستولوا علي منطقة خراسان . لمزيد من التفاصيل انظر . ( العماد الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٧ ـ ١٠ ، اختصار البنداري ؛ الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ٢٤ ـ ٢٧ ) .

(٢) سيده إسماعيل كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، ص ١١ ـ ١٤ .

(٣) الدولة البويهية : أسسها معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه في العراق في عام ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م ، واستمر حكمها في الخلافة العباسية حتى قبض السلطان السلجوقي طغرلبك علي الملك الرحيم آخر ملوك الدولة البويهية في عام ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥م . ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٤٠ ، ج ٧ ، ص ١٦٤ ؛ العماد الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٢ ) .

(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج ٤ ، ص ١٧

وقد تضمنت الكتابات التى وصلتنا من تاريخ ابن أبى طى العلاقة بين الخلافة العباسية ودولة السلاجقة فى أكثر من عهد.

**العلاقة بين السلطان محمد بن ملكشاه والخليفة المستظهر بالله:**

أوضحت أولى هذه الروايات تدخل السلطان «محمد بن ملكشاه»[١] فى تعيين الوزراء فى عهد الخليفة «المستظهر بالله»[٢] فى عام ٥٠١ هـ/ ٧-١١٠٨ م فقال:

**«أرسل السلطان محمد إلى الخليفة فى عزل وزيره «مجد الدين»[٣]، فعزله فى شهر رمضان من هذه السنة، ثم أن السلطان محمد أعاد الوزير مجد الدين بن المطلب إلى وزارة الخليفة بعد شروط ألزمه بها منها: العدل وحسن السيرة، وأن لا يستعمل أحدا من أهل الذمة»[٤].**

---

(١) هو أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان الملقب غياث الدين : أقيمت له الخطبة لأول مرة في بغداد في ذي الحجة عام ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٩ م ، وقطعت خطبته عدة مرات، وآلت إليه سلطنة دولة السلاجقة بعد وفاة أخيه السلطان بركيارق في عام ٤٩٨ هـ/ ١١٠٥ م وكان من أهم سلاطين السلاجقة لما قام به من أعمال جليلة ، وتوفي في ذي الحجة عام ٥١١ هـ/ ١١١٨ م . وسوف نضيف المزيد عنه من خلال الترجمة التي أوردها له ابن أبي طي، وسنذكرها في أحداث هذا العام . ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ، ص ١٠٩ ، ١٩٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٧٧ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٧١-٧٣ ) .

(٢) هو المستظهر بالله أبو العباس أحمد : تولى الخلافة العباسية عقب وفاة والده الخليفة المقتدي بأمر الله في المنتصف من المحرم عام ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م ، واستمر في الخلافة حتى وفاته في عام ٥١٢ هـ/ ٨-١١١٩ م . ولنا عودة أخرى معه في أحداث هذا العام، لنوضح ما ذكره عنه ابن أبي طي في الترجمة التي أوردها له . ( ابن طباطبا : الأحكام السلطانية ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٩-٣٠٠ ) .

(٣) هو أبو المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب : ولد في عام ٤٤٠ هـ/ ٤٨-١٠٤٩ م ، تولي ديوان الزمام في الخلافة ، ثم تقلد الوزارة للخليفة المستظهر بالله في المحرم عام ٥٠١ هـ/ ١١٠٧ م ، وعزل منها في العام التالي في رجب عام ٥٠٢ هـ/ ١١٠٩ م ، وتوفي في شوال عام ٥٠٣ هـ/ ١١١٠ م . ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٥٩ ، ١٦٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٤ ؛ ابن طباطبا : الأحكام السلطانية ، ص ٣٠٠ ) .

(٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٦ .

وقد أورد ابن الأثير معظم ما ذكره ابن أبى طى فى هذه الرواية[١]، واتفق معه اتفاقا يكاد يكون حرفيا، وهذا التوافق أظهر أن كتابات ابن أبى طى - بحكم أنها جاءت أكثر تفصيلا - كانت مصدرا من مصادر ابن الأثير، وسوف يتأكد هذا الرأى من خلال بعض كتابات ابن أبى طى التالية.

أما بالنسبة للحادثة التالية التى أوردها ابن أبى طى ضمن أحداث عام ٥٠١ هـ / ٧ - ١١٠٨ م، فقد أشار فيها إلى مغادرة السلطان محمد بغداد عائدا إلى «أصبهان»[٢]، وقد أورد ابن الأثير أيضا هذا الخبر[٣]، واتفق فيما جاء به مع ابن أبى طى من ناحية المضمون، كذلك من ناحية الحفاظ على تسلسل ذكره عقب الخبر السابق، وعقب الحادثة التى سوف نبدأ بها كتابات ابن أبى طى عن تاريخ دولة السلاجقة الداخلى. قال ابن أبى طى: «وفى سابع شوال من هذه السنة خرج السلطان محمد من بغداد متوجها إلى أصبهان، وكانت مدة مقامه ببغداد خمسة أشهر وسبعة عشر يوما»[٤].

**ثم عرض ابن أبى طى فى عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م وصول السلطان محمد بن ملكشاه ووزيره «أحمد بن نظام الملك»[٥] إلى بغداد، وأوضح تفاصيل الهجوم الذى تعرض له**

---

(١) المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٥١.

(٢) أصْبَهَان: مدينة عظيمة ومشهورة من أعلام المدن، تقع في إقليم «بلاد الجبل» ويسمى أيضا «عراق العجم»، وهي عاصمة الإقليم. يحده من الغرب أذربيجان، ومن الجنوب جزء من بلاد العراق و خوزستان، ومن الشرق خراسان وفارس، ومن الشمال بلاد الديلم وقزوين والري. وتضم أصبهان ستة عشر رستاقا، كل رستاق ثلاثمائة و ستون قرية. وكلمة «الرستاق» كلمة فارسية تطلق علي كل موضع به مزارع وقرى. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١. ص ٣٨، ٢٠٦ - ٢٠٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٦٥).

(٣) المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٥١. وانظر أيضا: النويري: نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٣٦٨.

(٤) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ١، ورقة ٦.

(٥) هو أبو نصر أحمد بن نظام الملك: تولي الوزارة للسلطان محمد بن ملكشاه في شوال عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٧ م، ولقب ألقاب أبيه «قوام الدين»، «نظام الملك»، «صدر الإسلام». وظل وزيرا للسلطان محمد حتى عزل في عام ٥٠٣ هـ / ١١١٠ م. (ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٤٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٣٦٣ - ٣٦٤، ٣٦٩).

الوزير، والذى كاد يودى بحياته فور وصوله إلى بغداد من قبل أحد أفراد فرقة «الباطنية»[١].

وكان السلطان محمد بن ملكشاه قد دخل بغداد حسب رواية«ابن الجوزي» (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) وابن الأثير فى شهر ربيع الآخر من السنة، وحددا تاريخ إصابة الوزير من جراء هذا الهجوم فى شهر شعبان، واختلفا بذلك مع ابن أبى طى فى تاريخ تحديده لوقوع الحادث[٢]، وقد أيد «النويري» (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٢٣م) ابن أبى طي، وذكر أن الحادث وقع فى شهر ربيع الآخر، أى فى وقت وصول الوزير إلى بغداد، أما تفاصيل الحادث فقد اتفق فيها النويرى تماما مع ابن الأثير[٣]، وهذا يوضح أن النويرى نقل تاريخ الحادث من مصدر آخر غير ابن الأثير، وقد يكون هذا المصدر هو الذى اعتمد عليه ابن أبى طي.أما بالنسبة لتفاصيل الحادث، فقد اتفق ابن أبى طى مع ابن الجوزى وابن الأثير فى ذكر المضمون العام لسير الحادث[٤]،وأضاف بعض التفاصيل التى تزيد من فهم النص.

---

(١) الباطنية : أطلق على معتنقي مذهب الإسماعيلية من الشيعة ، وهو أشهر ألقابهم، واشتهروا به لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيل تأويل ، ولهم ألقاب كثيرة ، فبالعراق يسمون الباطنية وبخراسان الملاحدة . وقد ساءت العلاقة بين فرقة الباطنية ودولة السلاجقة في فارس منذ عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ( ٤٦٥ ـ ٤٨٥ هـ/ ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢ م ) ، وبدأت أعمال العنف من جانب فرقة الباطنية ، حيث قاموا بقتل أحد المؤذنين من أهل مدينة « ساوة » ، فأمر الوزير السلجوقي « نظام الملك » بقتل من قام بهذا الفعل، فقتلوا منهم نجارا ، فثأر له فرقة الباطنية وقاموا بقتل الوزير نظام الملك ، واستمر الصراع قائما بينهم منذ ذلك الوقت . للمزيد من التفاصيل انظر . ( الشهرستاني : الملل و النحل ، ج ١ ، ص ١٩٢ ؛ العماد الأصفهاني : تاريخ آل سلجوق ، ص ٦٨ ـ ٦٩ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٠ ) .

(٢) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ص ١٦٣ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٥٩ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٣٦٩ .

(٤) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ١٦٣ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٥٩ . وانظر أيضا : النويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٣٦٩ .

قال ابن أبى طى: «وفيها دخل السلطان إلى بغداد «الدخلة الخامسة»[١]. و يوم دخوله إليها وثب على وزيره «ابن نظام الملك» باطنيا، فجرحه عدة جراحات فى رقبته وأكتافه، فسلم من الجراحات، ولم يسلم أحد من جراحات الباطنية غيره ، وأخذوا الباطنى وسقى الخمر بغير اختياره ، فلما سكر سُئل عن أصحابه، فأقر على جماعة من الباطنية، بمسجد «المأمونية»[٢]، فأخذوا من المسجد وقتلوا جميعا بعد أن مثل بهم »[٣].

ثم ذكر ابن أبى طى بعد ذلك فى عام ٥١١ هـ/ ١١١٨ م خبر وفاة السلطان محمد ابن ملكشاه، وأورد له ترجمة شرح فيها بإيجاز أحوال دولة السلاجقة فى عهده. فقال: «وفى سنة إحدى عشرة وخمسمائة توفى السلطان غياث الدين والدنيا أبو شجاع محمد بن ملكشاه. قال: وكانت أيامه نضرة «بالعدل والإحسان»[٤] وكان محبا للخير فاعلا له، وكان فى أيامه حروب كثيرة وأحداث عظيمة، كان سببها تولى غير الكُفاة وتصرف غير أرباب التصرفات»[٥].

---

(١) دخل السلطان محمد بن ملكشاه لأول مرة إلي بغداد في عام ٤٩٤ هـ/ ١١٠١ م ، وقد ذكر ابن الجوزي أن تاريخ دخوله كان في شهر « جمادى الآخرة » ، واختلف معه ابن الأثير، وذكر أنه وصل إليها في « ذي الحجة » من نفس السنة . ثم ذكر ابن الأثير أن السلطان محمد خرج من بغداد في المحرم عام ٤٩٥هـ/ ١١٠١ م ، ثم استدعاه الخليفة العباسي المستظهر بالله مرة ثانية إلي بغداد فعاد إليها في نفس العام . ودخل السلطان محمد إلي بغداد للمرة الثالثة في عام ٤٩٨ هـ/ ١١٠٥ م ، أما المرة الرابعة فكانت في عام ٥٠١ هـ/ ١١٠٧ م في شهر ربيع الآخر ، ثم دخل السلطان بغداد في ربيع الآخر عام ٥٠٣ هـ/ ١١٠٩ م وكانت هذه هي المرة الخامسة لدخوله بغداد . ( ابن لجوزي : المنتظم ، ج ٩ ، ص ١٢٤ ، ١٤٢ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢٢٥ ، ٢٥٩ ) .

(٢) المأمونية : محلة ببغداد . ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ، ص ١٦٣ ) .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٣٦ .

(٤) أورد ابن الأثير عدة أمثلة توضح عدل السلطان محمد بن ملكشاه . انظر : ( الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ) .

(٥) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ١١٢ .

ثم أوضح ابن أبى طى ولاية السلطان «محمود بن محمد بن ملكشاه»[١] خلفا لوالده، واتفقت كتابات ابن أبى طى عنه مع مضمون كتابات العماد الأصفهاني (ت٥٩٧هـ / ١٢٠١ م)[٢]، مما يشير إلى أنه اعتمد على كتاباته فى هذا الجزء. قال ابن أبى طى: «جلس بعد السلطان محمد فى سرير ملكه ولده السلطان مغيث الدنيا والدين أبو القاسم محمود بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان، وحضر الناس فقبلوا الأرض بين يديه، ولما ولى الأمر كان فى سن الحلم، وكان من أذكا الناس يكاد خاطره يتوقد نارا»[٣].

ثم ذكر ابن أبى طى فى عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م خبر وفاة الخليفة المستظهر بالله. وتضمن الخبر ترجمة قصيرة عن صفاته، ومدة مرضه، وتاريخ وفاته، وعمره، ومدة خلافته، ومراسم دفنه، وأسماء أولاده. كذلك لفت انتباه ابن أبى طى التقارب الزمنى بين وفاة بعض سلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين، وذكر أمثلة لثلاثة من السلاطين وثلاثة من الخلفاء، وأورد ذلك على سبيل الاتفاقات العجيبة، وهذا النهج اتبعه كثير من المؤرخين القدامى، وسوف نوضح ذلك عند عرض كتابات ابن أبى طى عن هذا الخبر.

قال ابن أبى طى عن صفات الخليفة: «كان المستظهر لين الجانب، كريم الأخلاق مليح

---

(١) هو السلطان مغيث الدين أبي القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه : خلف والده السلطان محمد وكان حينئذ في الرابعة عشرة من عمره ، ولهذا انتقل مقر سلطنة دولة السلاجقة من العراق إلي عمه السلطان سنجر بن ملكشاه في خراسان، لأنه لم يبق في البيت السلجوقي بعد وفاة السلطان محمد من هو أكبر سنا وأعظم مملكة من أخيه السلطان سنجر ، فاستقرت له السلطنة بعد حروب خاضها مع السلطان محمود - وسوف نوضح ما ذكره ابن أبي طي عن هذا الموضوع في القسم الأخير من أحداث هذا الفصل - وتوفي السلطان محمود في شوال عام ٥٢٥ هـ/ ١١٣١ م ، وكانت مدة سلطنته ثلاث عشرة سنة وعدة أشهر. ( ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٧٧؛ الحسيني: زبدة التواريخ، ص١٧٤، ١٩١ ) .

(٢) المصدر السابق ، ص ١١٤ .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ١١٣ .

الخلق، وكان إذا اصطنع أحدا مال إليه وسمع لين قوله»[١]، وهذه الصفات أوردها أيضا ابن الجوزى وابن الأثير، واتفق ابن أبى طى فيها مع ابن الأثير[٢].

ثم ذكر ابن أبى طى المدة التى مرض خلالها المستظهر بالله قبل وفاته، واتفق فيها مع ابن الجوزى[٣]، فقال: «وكان مرضه ثلاثة عشر يوما»[٤].

وبالنسبة لتاريخ وفاة المستظهر بالله ، فقد لاحظنا اختلاف كثير من المؤرخين فى تحديد تاريخ دقيق له، ولهذا ذكر ابن أبى طى تاريخين مختلفين لوفاته أوردهما له «ابن الفرات». قال ابن أبى طى: «وتوفى لسبع بقين من شهر ربيع الآخر من سنة اثنتى عشرة و خمسمائة». ثم قال ابن الفرات: قال ابن أبى طى فى موضع آخر: «توفى ليلة الخميس رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة»[٥].

وهذا التاريخ الأخير اتفق فيه ابن أبى طى مع ابن القلانسى[٦]، واقتربت رواية ابن الأثير من هذا التاريخ، حيث ذكر أنه توفى فى «السادس عشر» من الشهر، أما ابن الجوزى فقد ذكر وفاته فى «السادس و العشرين» من نفس الشهر[٧].

ثم ذكر ابن أبى طى عمر الخليفة المستظهر بالله عند وفاته، واتفق فيما ذكره مع ابن الجوزى[٨]. فقال: «وعمره أحد وأربعون سنة وأشهر وأياما»[٩].

---

(١) المصدر نفسه ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٢.

(٢) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٨١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨، ص ٢٨١ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٠٠ .

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٢.

(٥) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٢.

(٦) المصدر السابق ، ص ٣١٩ .

(٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٨١ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٠٠

(٨) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٠٠ .

(٩) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٢.

أما بالنسبة لمدة خلافة الخليفة المستظهر بالله فقد لاحظنا أنه حدث خلاف بين بعض المؤرخين فى تحديدها، فذكر ابن القلانسى أنها كانت «ستا وعشرين سنة وشهرين وأياما». وذكر ابن الجوزى أنه ظل فى الخلافة «أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما»[١]، أما **ابن أبى طى** فقد ذكر تاريخا وسطا بينهما فقال: **«وخلافته خمسة وعشرين سنة وشهرين و أياما»**[٢].

وفى الحقيقة فإن هذا الخلاف بين المؤرخين كان من الممكن تجنبه، لأن معظمهم اتفقوا على تحديد تاريخ ولاية المستظهر بالله الخلافة فى النصف الثانى من المحرم عام ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م، واتفقوا أيضا فى تحديد تاريخ وفاته فى شهر ربيع الآخر عام ٥١٢ هـ/ ١١١٨ م، وبحساب مدة خلافة المستظهر بالله تبين أن المدة التى حددها ابن الجوزى كانت أدق الروايات[٣].

ثم استعرض ابن **أبى طى** بعد ذلك ما لاحظه من وجود تقارب زمنى بين وفيات ثلاثة من السلاطين السلاجقة ومثلهم من الخلفاء العباسيين، وذكر ذلك على سبيل الاتفاقات العجيبة، وقد أورد ابن الأثير تلك الملحوظة باختصار، وذكرها أيضا باعتبارها من غريب الاتفاق[٤]. **قال ابن أبى طى: «ومن أعجب الاتفاقات أنه كان بين موت القائم بأمر الله وموت السلطان ألب أرسلان «ستان و خمسة أشهر»**[٥]. **وبين وفاة المقتدى بأمر الله**

---

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣١٩ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٠٠ . وانظر أيضا : ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٨١ .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٢.

(٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٠٦ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٨٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١٧٠ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٨١ .

(٥) كانت وفاة السلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ( ٤٥٥ ـ ٤٦٥ هـ/ ١٠٦٣ ـ ١٠٧٢ م ) في العاشر من شهر ربيع الأول عام ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢ م . وتوفي الخليفة القائم بأمر الله ابن القادر بالله ( ٤٢٢ ـ ٤٦٧ هـ/ ١٠٣١ ـ ١٠٧٥ م ) في الثالث عشر من شعبان عام ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٥

و بين وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ستة أشهر، وتقارب وفاتي ولديهما أعجب، فإنه كان بين وفاة المستظهر بالله ابن المقتدى بأمر الله ووفاة السلطان محمد بن السلطان ملكشاه «أربعة أشهر وأربعة أيام»[1]»[2].

وقد لاحظنا أن الفترة التى حددها ابن أبى طى بين وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥ ـ ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢ م) والخليفة المقتدى بأمر الله (٤٦٧ ـ ٤٨٧ هـ / ١٠٧٥ ـ ١٠٩٤ م) غير صحيحة، حيث إن السلطان ملكشاه توفى فى شوال عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م، وتوفى الخليفة المقتدى بأمر الله فى منتصف المحرم عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م[3]، وعلى هذا يكون الفارق بين وفاتهما أكثر من عام وليس ستة أشهر.

ثم ختم ابن أبى طى روايته عن وفاة الخليفة المستظهر بالله بذكر مراسم دفنه وأسماء أولاده الذكور، كما أشار إلى عدد بناته، وأورد أيضا ابن الجوزى وابن الأثير مراسم دفن الخليفة، واتفق ابن أبى طى اتفاقا كبيرا مع ابن الجوزى[4]. فقال: «ودفن

المستظهر بالله فى حجرته بعد أن صلى عليه ابنه المسترشد بعد صلاة العصر وكبر عليه أربعا، وجلس قاضى القضاة للعزا بباب الفردوس ثلاثة أيام»[5].

---

م . وعلي هذا يكون الفارق الزمني بين وفاتهما سنتين وخمسة أشهر كما ذكر ابن أبي طي( ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١١٣ ، ١٢٠ ) .

(١) توفي السلطان محمد بن ملكشاه ( ٤٩٢ ـ ٥١١ هـ / ١٠٩٩ ـ ١١١٨ م ) في ذي الحجة عام ٥١١ هـ / ١١١٨ م ، وتوفي بعده بفترة وجيزة الخليفة المستظهر بالله ( ٤٨٧ ـ ٥١٢ هـ / ١٠٩٤ ـ ١١١٨ م ) في ربيع الآخر عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ، وتقدر هذه الفترة بأربعة، أشهر، مثلما ورد في رواية ابن أبي طي( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ، ص ١٩٦ ، ٢٠٠ ) .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٢.

(٣) ابن الجوزي:المصدر السابق، ج٩، ص٦٢، ٨٤؛ ابن الأثير:المصدر السابق ج ٨، ص١٦٣، ١٧٠

(٤) المصدر السابق، ج ٩، ص ١٩٨، ٢٠٠. وانظر أيضا: ابن الأثير:المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٨١

(٥) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٢.

وانفرد ابن أبى طى بعد ذلك بحصر أسماء أولاد الخليفة الذكور وعدد بناته، فقال: «وخلفه المستظهر من الولد أبا منصور الفضل المسترشد، وأبا عبد الله محمد المقتفى، وأبا الحسن، وأبا طالب، وإبراهيم، وإسماعيل، وعيسى، وبنتين»[1].

وبعد وفاة الخليفة المستظهر بالله آلت الخلافة العباسية إلى ولده «المسترشد بالله» (٥١٢ ـ ٥٢٩ هـ/ ١١١٨ ـ ١١٣٥ م)، ودارت العلاقات بينه وبين السلطان «محمود ابن محمد بن ملكشاه» (٥١١ ـ ٥٢٥ هـ/ ١١١٨ ـ ١١٣١ م). ولم تصلنا كتابات ابن أبى طى عن العلاقات بينهما، وإنما وصلتنا من خلال الصراع الذى دار بينهما وبين أمراء الحلة والموصل، ولهذا سنذكر تفاصيل هذا الموضوع فى القسم الثانى من الفصل.

كما لم نجد أيضا كتابات لابن أبى طى عن العلاقة بين الخليفة «الراشد بالله»[2] (٥٢٩ ـ ٥٣٠ هـ/ ١١٣٥ ـ ١١٣٦ م) والسلطان «مسعود بن محمد بن ملكشاه»[3] (٥٢٧ ـ ٥٤٧ هـ/ ١١٣٣ ـ ١١٥٢ م)، ووجدنا إشارة فقط إلى ولاية الراشد بالله الخلافة العباسة فقال:

---

(١) المصدر نفسه والورقة .

(٢) هو أبو جعفر منصور بن المسترشد : ولد في عام ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨ ـ ١١٠٩ م ، وخطب له والده بولاية العهد في عام ٥١٣ هـ/ ١١١٩م، وبويع له بالخلافة عقب مقتل والده في ذي القعدة عام ٥٢٩ هـ/ ١١٣٥ م ، ولم تستمر خلافته أكثر من عام ، حيث أفتي القضاة والعلماء والأعيان في بغداد بخلعه بتحريض من السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه ، ثم قتل الراشد بالله في رمضان عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م . ( السيوطي : الخلفاء ، ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧) .

(٣) هو أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن سلجوق : ولد في ذي القعدة عام ٥٠٢ هـ/ ١١٠٩ م ، وبعد ثلاث سنوات من مولده أرسله والده إلي الموصل ليربي هناك بين أمراء الموصل ، فتعاقب عليه ثلاثة من الأمراء وهم : الأمير مودود بن التوكتين حتى وفاته في عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م ثم آق سنقر البرسقي حتى عام ٥٠٩ هـ/ ١١١٥ م ، وأخيرا الأمير جيوش بك، وهذا الأمير كان يشجع الملك مسعود كثيرا علي غزو العراق ومحاربة أخيه السلطان محمود بن محمد . ثم تولي « مسعود » السلطنة في بغداد، وأقيمت له الخطبة بها في صفر عام ٥٢٧هـ/ ٣٢ ـ ١١٣٣ م ، و توفي في عام ٥٤٧ هـ/ ١٥٢ م . ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٢٩ ، ١٥١ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٧٣ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٢) .

«بويع للراشد بالله يوم الاثنين سابع عشر ذى القعدة سنة تسع

وعشرين وخمسمائة يوم وصل الخبر إلى بغداد «بقتل أبيه»[١] المسترشد بالله. وكان عمره يوم بويع له ثمان وعشرين سنة وكان «بكبه»[٢] أول من بايعه ثم بايع الناس الراشد بعد ذلك من داخل الدار، وجلس للعزا بالمسترشد فى الديوان ثلاثة أيام وجوه الدولة»[٣].

ومن الملاحظ أن ابن أبى طى لم يذكر التاريخ الدقيق لمبايعة الخليفة الراشد بالله، والتاريخ الذى ذكره هو تاريخ مقتل الخليفة المسترشد بالله، والصواب كما جاء فى كتابات غيره من المؤرخين أن البيعة للخليفة الراشد بالله تمت بعد وصول الخبر بمقتل والده بعد عشرة أيام من مقتله فى السابع والعشرين من ذى القعدة.[٤] أما بالنسبة لباقى رواية ابن أبى طى فاتفق فيها مع ابن الجوزى وابن الأثير[٥].

---

(١) قتل الخليفة المسترشد بالله علي أثر هجوم عدد من أفراد فرقة الباطنية عليه عند باب مدينة مراغة في سابع عشر ذي القعدة عام ٥٢٩ هـ/ ١١٣٥ م ، وقيل أيضا إن السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه كان وراء قتله . ( العماد الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٦٦ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٥٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٤٨) .

(٢) بكبه : كان واليا علي البصرة ، ثم ولاه السلطان السلجوقي « مسعود بن محمد بن ملكشاه » الشحنة في بغداد بعد قيام السلطان مسعود بأسر الخليفة المسترشد بالله ، ثم كاتبه السلطان مسعود بشأن أخذ المبايعة للخليفة العباسي الراشد بالله . ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٤٦ ، ٥٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٤٧ ) .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ٧ .

(٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٩٥ ؛ العماد الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ١٦٦ ؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٥٣؛ ابن الأثير : لمصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٤٨-٣٤٩ .

(٥) ابن الجوزي:المصدر السابق، ج ١٠، ص٥٣،٥٠ ؛ ابن الأثير: المصدر السابق ، ج ٨، ص ٣٤٩.

## ثانيا: كتابات ابن أبى طى عن العلاقة بين السلاجقة والخلافة العباسية وأمراء الحلة والموصل ودمشق

تناولت أولى روايات ابن أبى طى عن هذا الموضوع العلاقة بين السلطان محمد بن ملكشاه والأمير «صدقة بن مزيد»[١] أمير الحِلة فى عام ٥٠١ هـ/ ١١٠٧ ـ ١١٠٨ م

وكان الأمير «صدقة بن مزيد» قد عظم شأنه وعلا قدره، وصارت بلدته مكانا آمنا يستجير به كل خائف من خليفة أو سلطان، وكان السلطان محمد بن ملكشاه قد ساءت علاقته بالأمير «أبى دلف سرخاب بن كيخسرو الديلمى «أمير بلدتى «ساوة»[٢] و «أوه»[٣]، فهرب وقصد صدقة بن مزيد فى الحلة فأجاره، فأرسل السلطان محمد إلى الأمير صدقه يطلب تسليمه إلى نوابه فرفض الأمير صدقة تسليمه، فاتهمه لذلك السلطان محمد باعتناق مذهب «الباطنية»، فى حين أنه كان كما يقول ابن الأثير يعتنق المذهب الشيعى لا غير، وانتهى الأمر إلى تحول هذا الخلاف بينهم إلى ساحة القتال، وهزم الأمير صدقة بن مزيد وقتل فى هذه المعركة، وأسر السلطان محمد «سرخاب بن كيخسرو» الذى كانت هذه الحرب بسببه[٤].

---

(١) هو الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الأسدي : خلف والده في حكم مدينة « الحِلة » بعد وفاته في عام ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م، وفي عهده ازدهرت مدينة الحلة، وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة، وصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها مدة حياته. وكان مقتله في رجب عام ٥٠١ هـ/ ١١٠٧ م ، وكان يبلغ من العمر تسعا و خمسين سنة ، و مدة إمارته إحدى وعشرين سنة. ( ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ١٤١، ٢٤٥، ٢٤٨) .

(٢) أوَه : بفتحتين ؛ قرية تقع بين زنجان و همذان ، وعقيدة أهلها الشيعة الإمامية . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٨٣، ج ٣ ، ص ١٧٩ ) .

(٣) سَاوَهْ : مدينة تقع بين الري وهمذان ، وأهلها سُنية شافعية ، وتبعد عن أوه مسافة فرسخين . (المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٧٩ ) .

(٤) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر : ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٩ ، ص ١٥٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٩.

وقد بدأ ابن أبى طى روايته عن هذا الموضوع بمقدمة توضح أصل الأمير «سرخاب» ثم عرض بعد ذلك للعلاقة بين صدقة بن مزيد والأمير «سرخاب»، ونفى فى روايته أيضا الاتهام الذى وجهه السلطان محمد بن ملكشاه لصدقة بن مزيد بأنه كان باطنيا، وأظهر ما كان يقوم به الأمير صدقة من أعمال الخير، وانفرد بمعظم هذه التفاصيل.

**قال ابن أبى طى: «كان سرخاب صاحب أوه، وآباؤه أصحاب ساوه، وكانوا فى ابتداء «الدولة الديلمية» ملوكا مقدمين، وكان سرخاب من بينهم عظيم التشيع والقول بالإمامة، وهذا هو السبب فى قيام «صدقة» معه، فإن الفقها أفتوه أنه لا يجوز أن يسلمه مع وجود قدرته وعزة جانبه، وقد شنع عليه «الهمداني»، لشدة تعصبه عليه، بأنه كان باطنيا، وكيف يستجيز أن يصفه بذلك وله الآثار الجميلة فى الإسلام، من بناء المصانع فى طريق مكة المشرفة و إقامته بأهل الحرمين، فإنه كان ينفذ إلى مكة المشرفة و المدينة المعظمة فى كل سنة بعشرين ألف دينار، وكذلك كان يعطى العلويين وأهل المشاهد، ثم إن صدقة كان فى تشدد عظيم من الميل على الباطنية وقتلهم و إبعادهم عن بلاده، حتى يحكى أن باطنيا ما وجد بها إلا قتل»**[1].

ثم تناول ابن أبى طى فى أحداث عام ٥٠٢ هـ/ ٨ ـ ١١٠٩ م، تطور أحوال الأمير «بدران بن صدقة بن مزيد»[2] عقب مقتل والده، وعلاقته بالسلطان محمد بن ملكشاه هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أشار ابن أبى طى فى روايته إلى موقف السلطان السلجوقى محمد بن ملكشاه من الإمارات الصليبية التى تأسست فى العقد الأخير من القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى، وأوضحت روايته اهتمام السلطان بحركة الجهاد وظهر

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٩ .

(٢) هو تاج الملوك بدران بن صدقة : تنقلت به الأحوال بعد مقتل والده في عام ٥٠١ هـ/ ١١٠٨ م ، فأقام في الشام مدة ، ثم توجه إلي مصر ، وتوفي بها عام ٥٣٠ هـ/ ١١٣٥ ـ ١١٣٦ م . ( ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ ) .

ذلك من خلال حثه أمير بلدة الموصل الأمير «مودود»[١] على ذلك.

**قال ابن أبى طى: «وفيها (٥٠٢ هـ) صار» بدران بن الأمير صدقة بن الأمير دبيس بن مزيد «إلى السلطان محمد فأحسن تقبله، وزاد فى إكرامه، و اتفق وصول الأمير «مودود» صاحب الموصل إلى خدمة السلطان محمد، فأمره السلطان بالصيرورة إلى الشام وقتال الفرنج، وأضاف إليه الأمير بدران ابن صدقة»[٢].**

وقد عرض «ابن الأثير» هذا الموضوع باختصار، وأشار فقط إلى التحاق الأمير بدران بن صدقة بخدمة الأمير مودود فى الموصل[٣].

وعرض ابن أبى طى فى أحداث عام ٥٠٢ هـ أيضا موضوعا يتعلق بالعلاقة بين أمراء الموصل والأمير «بلدوين دى بورج»[٤] أمير إمارة «الرها»[٥] الصليبية.

وكان الأمير «شمس الدولة جكرمش»[٦] أمير الموصل، والأمير «معين الدين

---

(١) هو مودود بن التونتكين: تولي الموصل في صفر عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م ، وظل واليا عليها حتى قتله الباطنية بدمشق في عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م. ( ابن الأثير: الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٥٢ ، ٢٦٦ ) .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٢٨ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٥٧ .

(٤) هو بلدوين دي بورج : تولي إمارة الرها في عام ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م ، ثم وقع في أسر المسلمين عقب هزيمته في موقعة حران في عام ٤٩٧ هـ / ١١٠٤ م ، وظل أسيرا في الموصل قرابة خمس سنوات ، وفي خلال هذه الفترة دخلت الرها لفترة قصيرة تحت وصاية البيت الأنطاكي ممثلا في الأمير تانكريد ، ثم ترك الأمير بلدوين حكم الرها وتولي مملكة بيت المقدس بعد وفاة بولدوين الأول في إبريل عام ١١١٨ م / ٥١١ هـ ، ولقب ببلدوين الثاني . ( ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ؛ علية الجنزوري : إمارة الرها الصليبية ، ص ٩٣ ، ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٢١ ) .

(٥) الرُها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام . تأسست فيها أول إمارة صليبية أثناء الحملة الصليبية الأولي ، وأسسها « بلدوين البولوني » في عام ١٠٩٨ م / ٤٩٣ هـ . ( ياقوت: معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٠٦ ؛ عليه الجنزوري : إمارة الرها ، ص ٧١ ) .

(٦) شمس الدولة جكرمش : كان من مماليك السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، وعمل واليا علي جزيرة

سقمان»[١]، أمير حصن كيفا وماردين، قد تصدوا فى عام ٤٩٧ هـ/ ١١٠٣ ـ ١١٠٤م لقوات الصليبيين عند حصارهم مدينة«حران»[٢]، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين، وأسر فى هذه المعركة الأمير «بلدوين دى بورج»، أسره معين الدين سقمان ثم أودع لدى الأمير جكرمش فى الموصل، وظل أسيرا فى الموصل حتى عام ٥٠٢ هـ/ ٨ ـ ١١٠٩ م وفى خلال الفترة التى كان فيها أمير الرها أسيرا فى الموصل تعاقب على حكم الموصل ثلاثة من الأمراء: فتولى الأمير «جاولى سقاوو»[٤] الموصل بعد شمس الدين جكرمش فى عام ٥٠٠ هـ/ ٦ ـ ١١٠٧ م، ثم تولاها بعده الأمير «مودود» فى عام ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨ م، وعند خروج الأمير جاولى من الموصل فى هذا العام أخذ معه الأمير بلدوين دى بورج واتفق معه على أن يطلق سراحه[٥].

ووصلنا من رواية **ابن أبى طى** عن هذا الموضوع الإجراءات التى تمت حتى تم إطلاق سراح أمير الرها، وقد اتفق **ابن الأثير** مع **ابن أبى طى** فى معظم ما ذكره من تفاصيل عن هذا الموضوع[٦].

---

بني عمر ، ثم تولي الموصل بعد وفاة الأمير « كربوقا » في ذي القعدة عام ٤٩٥ هـ/ ١١٠٢ م ، وظل واليا علي الموصل حتى عام ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦ م . ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٨ ، ص ١٣٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٩٣ ، ٢١١ ، ٢٣٨ ) .

(١) معين الدين سقمان : كان واليا علي مدينة « ماردين » ، ثم وتولي حصن كيفا في عام ٤٩٥ هـ/ ١ ـ ١١٠٢ م وتوفي في صفر عام ٤٩٨ هـ/ ١١٠٤ م ( ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢١١ ٢٢٧ ) .

(٢) حرّانُ : مدينة مشهورة من مدن جزيرة أقور ، وتعد قصبة ديار مضر . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ ) .

(٣) للمزيد من التفاصيل انظر : ( ابن القلانسي : تاريخ دمشق ، ص ٢٣٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ؛ ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ) .

(٤) جاولي سقاوو : تولي الموصلَ في عام ٥٠٠ هـ/ ٦ ـ ١١٠٧ م ، وظل واليا عليها حتى عام ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨ م ، ثم ولاه السلطان محمد بن ملكشاه بلاد فارس . ( ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، ٢٥٢ ) .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ، ٢٥٣ .

(٦) المصدر نفسه والصفحات .

قال ابن أبى طى: «سار جاولى إلى «ماكسين»[١]، وكان قد استصحب معه القومص بغدوين الفرنجى صاحب «الرها»، وكان قد أسره الأمير سكمان، و أخذه منه الأمير جكرمش، وبقى فى الأسر فى الموصل إلى أيام جاولى، فلما خرج جاولى من الموصل أخذه معه، فلما حصل بماكسين أخلع عليه الأمير جاولى، و قرر عليه أن يفدى نفسه بمال، وأن يطلق من فى حبسه من المسلمين والأساري، وأنه متى أراد نصرته وجده، فأجابه القمص إلى ذلك، وسيره جاولى بعد ذلك إلى قلعة جعبر إلى عند الأمير «أبى الزمام سالم بن مالك لعقيلي» صاحب القلعة، واستنابه فى قبض القمص، ولما حصل بالقلعة كاتب القمص ابن خالته «جوسلين»[٢] فوصل إليه إلى القلعة، فتركه القمص مكانه رهينة وخرج إلى إنطاكية»[٣].

ثم قال ابن أبى طى: «وأبطأ على جاولى أمر القمص فأرسل صاحبه «سنقر أحرار»، وأمره أن يرسل جوسلين إلى القمص مستحثا بعد أن يجعل عوضه رهينة، فجعل جوسلين عوضه أخا زوجته وأخا زوجة القمص، وأخذ معه سنقر أحرار، و سار إلى إنطاكية، فوجد القمص سبقهما إلى «تل باشر»[٤]، ووجدا «تنكري»[٥] صاحب إنطاكية قد أعطاه ثلاثين ألف

---

(١) مَاكِسِين : بكسر الكاف ، بلد بالخابور قريب من رحبة مالك بن طوق من ديار ربيعة . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٣ ) .

(٢) هو جوسلين دي كورتناي : ابن عمة « بلدوين دي بورج » أمير الرها ، وكان سندا قويا له في حكم الإمارة لقوة شخصيته ، ولهذا كان بمثابة الرجل الثاني في الإمارة ، كما كان واليا علي تل باشر . ثم أسر مع بلدوين في موقعة حران في عام ٤٩٧ هـ / ١١٠٤ م ، وافتدي نفسه بعشرين ألف دينار . وصار أميرا علي الرها في عام ١١١٩ م / ٥١٣ هـ ، وتوفي في عام ١١٣١م / ٥٢٦ هـ ( ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٥٣ ؛ علية الجنزوري : إمارة الرها الصليبية ، ص ٩٥ ـ ٩٦ ، ١٠١ ، ١١١ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ) .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٢٢ .

(٤) تل باشر : قلعة حصينة وكوره واسعة في شمالي حلب . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠ ) .

(٥) تانكريد Tancred : هو ابن أخت الأمير بوهيموند الأول الذي أسس إمارة أنطاكية الصليبية في عام ١٠٩٨ م / ٤٩٢ هـ ، وقد تولي الأمير تانكريد إمارة إنطاكية أثناء الفترة التي أسر فيها الأمير

دينارا،وخيلا وثيابا،وسلم القمص إلى سنقر أحرار

صاحب جاولى مائة و ستين أسيرا من المسلمين، بعد أن كساهم جميعهم، وكان هذا من عجيب الإستيا، يأسر جاولى بالموصل القضاة و الأشراف و أهل الدين من المسلمين، ويطلق عدو الله القمص اللعين»[1].

وتناول ابن أبى طى فى أحداث عام ٥٠٣ هـ / ٩ - ١١١٠ م موضوعا يتعلق أيضا بإمارة الرها الصليبية، عرض خلاله المحاولة التى قام بها أمراء أرمينية وميافارقين والموصل لإسقاط إمارة الرها.

وقد وصلنا من رواية ابن أبى طى الكثير من التفاصيل حول هذا الموضوع، ولاحظنا أنه اتفق مع المؤرخ ابن القلانسى فى معظم ما ذكره اتفاقا كبيرا، فسرد ابن أبى طى الموضوع بنفس تسلسل أفكاره، ووصل اتفاقه معه إلى اتفاق حرفى ولفظى فى كثير من الجمل[2]، وهذا يؤكد أن كتابات ابن القلانسى كانت من المصادر الرئيسة لابن أبى طى فى هذا الموضوع.

بدأ ابن أبى طى روايته بتوضيح اهتمام السلطان السلجوقى محمد بن ملكشاه بحركة الجهاد الإسلامى، وحثه أمراء أرمينية وميافارقين والموصل على ذلك، فقال: «وسبب ذلك أن السلطان محمد كاتب الأمير «سكمان القطبى «صاحب أرمينية وميافارقين والأمير «شرف

---

بوهيموند ( ١١٠١ - ١١٠٣م/ ٤٩٤ - ٤٩٦ هـ ) وبعد عودة بوهيموند من الأسر عهد إليه الأمير تانكريد بالإمارة من بعده ، ثم غادر بوهيموند أنطاكية وتوجه إلي إيطاليا في عام ١١٠٤ م / ٤٩٨ هـ وعهد إلي الأمير تنكريد مرة أخرى بأمر أنطاكية ، فظل واليا عليها حتى وفاته في عام ١١١٢ م / ٥٠٦ هـ ( وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج ٢، ص ١٨٣ ، ٢٤٠ - ٢٤١، ٢٥٧ ، ٢٩٩؛ حسين عطية : إمارة أنطاكية ، ص ١٢٢، ١٢٧ - ١٣٣ ) .

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٢٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٠ - ٢٧٢ . ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر أيضا : ( وليم الصوري : الحروب الصليبية،ج٢،ص٢٧٢-٢٧٤؛ابن الأثير:المصدر السابق،ج٨، ص٢٦٢-٢٦٣ )

الدين مودود» صاحب الموصل، و أمرهما بالمسير فى العساكر إلى جهاد الفرنج، فجمعا ونزلا جزيرة «بنى نمير» إلى أن تكامل وصول أمرا الأطراف، واتفق رأيهم على النزول إلى الرها و محاصرتها، فنزلوا عليها وحصروها حتى أشرفت على الهلاك»[١].

ثم أوضح ابن أبى طى موقف كبار زعماء الإمارات الصليبية فى الشام من حصار الرها، فقال: «و بلغ ذلك عساكر الفرنج فاجتمع جميع ملوكهم: طنكريد صاحب إنطاكية، و«ابن صنجيل» صاحب طرابلس، و«بغدويل»[٢] صاحب القدس، واتصل بهم ولاة أعمالهم لعنهم الله تعالى أجمعين، وتعاقدوا على الثبات فى الحرب، ثم رحلوا قاصدين الرها لكشف العساكر عنها»[٣].

وعرض ابن أبى طى بعد ذلك موقف ظهير الدين طغتكين أمير دمشق بعد علمه باتجاه جيوش الصليبيين نحو الرها، فقال: «و اتصل ذلك بالأمير «طغتكين» أتابك صاحب دمشق، فسار من دمشق حتى خيم على «سلمية». و عرف أن الفرنج «لعن الله من مضى منهم وخذل من بقى منهم»[٤] لابد لهم فى طريقهم من التعرض «برفنية» وكان فيها «شمس الخواص» من قبله، وكان حسابه صادقا، و لما نزلوا عليها خرج إليهم الأمير شمس الخواص صاحب رفنية، وقاتلهم أحسن قتال، وأسر قوما من مقدميهم، ولما رحلوا عنه خرج يقفوا أثارهم و يتخطف منقطعى ساقتهم، وعارضهم الأمير طغتكين من بين أيديهم

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٤١ .

(٢) هو الملك بلدوين الأول : تولي حكم مملكة بيت المقدس الصليبية في عام ١١٠٠ م / ٤٩٣ هـ ، واستمر حكمه مدة ثمانية عشر عاما ، وتوفي بمصر أثناء قيامه بغزو مدينة الفرما في عام ١١١٨ م / ٥١١ هـ . ( وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ـ ٣٣٠ ) .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٤١ .

(٤) أضاف ابن الفرات هذه العبارة علي نص ابن أبي طي ، وقد تبين لنا ذلك من تكرار ذكره هذه العبارة كثيرا في نصوص أخرى ليست لابن أبي طي مما يوضح أنها من أسلوب ابن الفرات . فذكرها ابن الفرات علي سبيل المثال عند عرضه تفاصيل حصار الصليبيين لصيدا في عام ٥٠٣ هـ ( المصدر نفسه ، أحداث هذا العام ) .

فأوقع بمقدميهم، وقتل منهم جماعة ولم يكن بينهم حرب ذات مصاف، وعزم الفرنج على عبور الفرات إلى الرها، فرحل الأمير طغتكين و توجه إلى ناحية الرقة و قلعة جعبر، و قطع الفرات وتلوم هناك إلى أن عرف خبر الفرنج وأنهم حتى أحجموا عن العبور لتفرق سرايا العساكر الإسلامية و طلابهم فى ساير الجهات»[1].

ثم أوضح ابن أبى طى خطة الجيوش الإسلامية المحاصرة للرها، فقال: «ولما عرف الأمير «شرف الدين مودود» صاحب الموصل، مقدم العساكر الإسلامية، وهو محاصر الرها قرب ملوك الفرنج المجتمعة منه ومن معسكره اتفق رأيه وآراء جماعة على أن يغزحوا للفرنج ليتمكنوا من لقائهم فى الفضا فى شرقى الفرات، فرحلوا عن الرها، و نزلوا أرض حران على وجه الخديعة، و فطن الفرنج ـ لعن الله من مضى منهم و خذل من بقى منهم ـ لهذا التدبير خافوا و أجفلوا ناكصين على الأعقاب ، فنهض الأمير شرف الدين مودود فى أثرهم، وقد كان بعضهم قطع الفرات، وبعضهم لم يتمكن من العبور، وكان أهل الرها قد أخرجوا كل ضعيف عندهم ورتبوا جماعة من الأرمن لحفظ الرها، وخرج عنها النعين «بغدوين الرويس» صاحبها وصار إلى الفرنج، فأدرك المسلمون من لم يطق العبور من الفرنج، فجعلوهم حصيد السيوف، وغنموا ما كان معهم، ورحل المسلمون إلى الرها للنزول عليها».

ثم قال ابن أبى طى: «وعرف الأمير طغتكين عود الفرنج فعاد إلى دمشق بعد أن أرسل شطرا من عسكره إلى العسكر المنازل للرها، وترددت بين الأمير مودود و الأمير أتابك طغتكين مكاتبات أوجبت مودة، و أكدت محبة، وطال مقام عساكر الإسلام على الرها لحصانتها. وقل تواصل الميرة إلى العساكر الإسلامية، فتفرقوا عنها بعد أن رتبوا

من يقيم بحران لحصارها، وحَدث للأمير «نجم الدين ايلغازي» استيحاش من الأمير «سكمان القطبي» فأجفل من حران إلى ماردين. فقبض سكمان على ابن أخيه الأمير «بلك بن

(١) المصدر نفسه ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٤١ ـ ٤٢ .

بهرام» و حمله إلى بلده مقيدا وبعد تفرق العساكر الإسلامية عن الرها عاد إليها صاحبها اللعين بغدوين الرويس و لم تزل الغارات متوالية عليها من عساكر المسلمين»[١].

آلت الخلافة العباسية بعد وفاة الخليفة المستظهر بالله إلى ولده المسترشد بالله[٢] (٥١١ ـ ٥٢٩ هـ/ ١١١٨ ـ ١١٣٥ م)، وقد تركزت الكتابات التى وصلتنا من تاريخ ابن أبى طى خلال فترة خلافة المسترشد بالله على توضيح جانبا من العلاقة بينه وبين الأمير «دُبيس بن صدقة»، أمير الحِلة»، والملك «مسعود بن محمد بن ملكشاه»، وأتابك «عماد الدين زنكي»

وتناولت أولى روايات ابن أبى طى جانبا من أحداث عام ٥١٣ هـ/ ١١١٩ ـ ١١٢٠ م، عرض فيها للاضطرابات الداخلية التى شهدتها الخلافة العباسية فى بغداد من قبل الأمير «دبيس بن صدقة»، والغزو الخارجى لها من قبل الملك «مسعود بن محمد بن ملكشاه».

قال ابن أبى طى: «وفيها بالغ الأمير دبيس بن صدقة فى قبح السيرة، ومصادرة أهل البلاد، وتواصلت الشكاوى والظلامات منه، فكتب إليه من دار الخلافة فى الإقلاع عن قبح هذه السيرة والرجوع إلى الطريقة المرجية فلم ينتبه ولم... واعتمد بحريق «الأنبار»[٣]، وتخريب الضياع حتى أجلا أكثر أهلها عنها، وتفرقوا فى البلاد، وغلا السعر ببغداد حتى بيع الخبز ثلاثة أرطال بقيراط وكانت الأمطار قليلة والجدب شامل، ولهذه الأسباب طمع الملك

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق م ١ ، ج ١ ، ورقة ٤٢ .

(٢) هو أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله: ولد في ربيع الأول سنة ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢ م، وبويع له بالخلافة عند موت أبيه في ربيع الآخر سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨ م. كان ذا هيبة شديدة، وضبط أمور الخلافة، وباشر الحروب بنفسه، وخرج عدة مرات علي رأس الجيوش إلي الحلة والموصل وطريق خراسان ـ وسوف نوضح في المتن أحد المعارك التي خاضها بنفسه وسجلها ابن أبي طي في كتاباته ـ وقتل الخليفة المسترشد بالله في ذي القعدة عام٥٢٩هـ/ ١١٣٥م(السيوطي:الخلفاء،ص٤٣١، ٤٣٣).

(٣) الأنبار: بفتح أوله، مدينة تقع علي نهر الفرات غرب بغداد.( ياقوت: معجم البلدان،ج ١، ص ٢٥٧)

«مسعود بن السلطان محمد» فى بغداد، فسار من الموصل فى عسكره إلى بغداد ومعه الأمير «آق سنقر البرسقي»، فحين استقر بالعراق قامت القيامة على الأمير دبيس لأجل «ما كان بينه وبين البرسقي»[١]، ووصل في

ذلك الوقت «شحنة» من عند «السلطان محمود» فى عسكر كبير، فانضاف إليهم الأمير دبيس بن صدقة بعسكره وقربوا من بغداد وأشرفوا على لقا الملك مسعود، ولم يتم عزم الملك مسعود على اللقا واشتد حنق الأمير دبيس وكثرت أذيته لأجل البرسقى ولم يعلمه من ميل الخليفة وأهل بغداد إليه. ولم يقم الشحنة الواصل من عند السلطان محمود ببغداد إلا مديدة قريبة وعاد إلى السلطان محمود، وتفرد الأمير دبيس بالمقام بالعراق والظلم فيه، وهو خايف من السلطان محمود ولاتصال الشكاوى إليه فيه»[٢]

ثم ذكر ابن أبى طى بعد ذلك فى أحداث عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م وصول السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه إلى بغداد ونجاحه فى هزيمة دبيس بن صدقة، وطرده من الحلة وهروبه إلى الشام. قال ابن أبى طى: «وفيها خرج السلطان إلى بغداد بسبب ما ظهر عن دبيس وأنهد إليه عسكرا كثيفا فكسر دبيس وانهزم إلى «الشام»[٣] وعفى السلطان عن أهل الحِلة وأقرهم فى بيوتهم»[٤].

وفى حقيقة الأمر فإننا عند مقارنة ما ورد فى رواية ابن أبى طى عن الأحداث التى

---

(١) بدأت العداوة بين الأمير دبيس بن صدقة والأمير آق سنقر البرسقي في جمادى الأولي عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ، عندما قرر البرسقي غزو الحلة و إجلاء الأمير دبيس عنها . ( ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٨٢ ) .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٢٢ .

(٣) هرب الأمير دبيس بن صدقة إلي الأمير « نجم الدين إيلغازي » أمير ماردين وحلب ، وصاهره وظل مقيما معه مدة . ( العظيمي : تاريخ العظيمي ، ص ٣٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٩٣ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٤ ، ص ٤٨٨ ) .

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٣٥ .

وقعت فى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م مع كتابات غيره من المؤرخين، لم نجد ما يقابلها ضمن أحداث هذا العام، وهذا الاختلاف بين ابن أبى طى وغيره من المؤرخين فى ضبط تواريخ الأحداث التى يكتب عنها تكرر كثيرا كما سبق أن أشرنا هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم نجد فى السنوات التى سبقت أو تلت رواية ابن أبى طى ما يقابلها بنفس تسلسل أحداثها.

فبالنسبة للقسم الأول من رواية ابن أبى طى الذى تناول فيه تفصيلا لأعمال العنف والنهب التى قام بها دبيس بن صدقة فى بغداد، فقد أورد ابن الجوزى وابن الأثير فى أحداث عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م، جانبا من تفاصيل هذه الاضطرابات، وذكرا أنه قام بها بعد وصول نبأ «هزيمة الملك مسعود بن محمد» أمام أخيه السلطان «محمود بن محمد»، كما أكدا أيضا أن هذه الاضطرابات كانت وراء وصول السلطان محمود بن محمد بعد ذلك إلى بغداد فى رجب عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م، ومحاربته دبيس بن صدقة فى الحلة وهزيمته وهروبه إلى الشام[1]. واتفق بذلك مضمون كتابات ابن أبى طى التى أوردها فى القسم الأول من أحداث عام ٥١٣ هـ، و أحداث عام ٥١٤ هـ مع ما ذكره ابن الجوزى وابن الأثير ضمن أحداث عام ٥١٤ هـ.

أما بالنسبة لأحداث القسم الثانى من رواية ابن أبى طى التى أورد فيها النتائج التى ترتبت على حالة الاضطراب التى أحدثها دبيس بن صدقة فى بغداد فى عام ٥١٣ هـ، من حيث قيام الملك مسعود بن محمد بن ملكشاه بغزوها، فلم ترد لها ذكر فى كتابات كثير من المؤرخين فى أحداث عام ٥١٤ هـ، وهو العام الذى وقع فيه جزء كبير من رواية ابن أبى طى - كما سبق أن أوضحنا - ولم تسجل كتاباتهم أية أخبار عن غزو الملك مسعود بن محمد لبغداد فى تلك الفترة سوى فى عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م[2]، ولكن نظرا إلى أن ابن أبى طى ربط أحداث العنف التى وقعت من قبل دبيس بن صدقة فى بغداد بغزو الملك مسعود

(١) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج٩، ص٢١٧ - ٢١٨؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج٨، ص٢٩٢ - ٢٩٣

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

بن محمد لها بعد ذلك، وبوصول السلطان محمود بن محمد إلى بغداد، فلهذا نرجح أنه انفرد بذكر تفاصيل هذا الغزو، وقد تكون هزيمة الملك مسعود بن محمد أمام أخيه السلطان محمود هى التى دفعته للقيام بذلك.

وبعد هزيمة الأمير دبيس بن صدقة أمام قوات السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه فى عام ٥١٤ هـ/ ١١٢٠م تقلبت به الأحوال، ولم تستقر له الأمور فى بلدنه الحلة، فظل مطرودا عنها، وبعد عودته إليها فى عام ٥١٦ هـ/ ١١٢٢ م حارب الخليفة المسترشد بالله وهزمه الخليفة فى أوائل عام ٥١٧ هـ/ ١١٢٣ م ، ثم قام دبيس بمحاولة لتملك العراق فى عام ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م وفشلت مساعيه، وهدد دبيس الخلافة العباسية مرة أخرى فى عام ٥٢٣ هـ/ ١١٢٩ م، وانهزم أيضا فى هذه المرة، فخرج من العراق واتخذ طريقه نحو البرية[1].

فأخطأ دبيس بن صدقة الطريق وقبض عليه «تاج الملوك بوري»[2] ملك دمشق، وقد وصلنا من كتابات ابن أبى طى تفاصيل هذا الموضوع، فأوضح أنه كان متوجها نحو الخلافة الفاطمية فى مصر، وأنه تلقى الموافقة منهم على دخوله مصر، وهذا الخبر انفرد به ابن أبى طى، ولم نجد له ذكر فى كثير من المصادر التى كتبت خبر القبض على دبيس بن صدقة، و كذلك المصادر الفاطمية. وكانت الخلافة الفاطمية فى ذلك الوقت تحت حكم الخليفة «الآمر بأحكام الله»[3] (٤٩٥ ـ ٥٢٤ هـ/ ١١٠١ ـ ١١٣٠م)

---

(١) العظيمي : المصدر السابق ، ص ٣٦ ـ ٣٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ، ج ٨ ، ص ٢٩٣ ، ٣١٠ ـ ٣١١ ، ٣١٧ ـ ٣١٨ ؛ ٣٢٨ .

(٢) هو تاج الملوك بوري بن أتابك ظهير الدين طغتكين : خلف والده في حكم دمشق بعد وفاته في صفر عام ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م ، واستمر واليا عليها حتى وفاته في رجب عام ٥٢٦ هـ/ ١١٣٢ م . ( ابن القلانسي : تاريخ دمشق ، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، ٣٧٠ ) .

(٣) الآمر بأحكام الله أبو علي المنصور بن المستعلي بالله : تولي الخلافة عقب وفاة والده في صفر عام ٤٩٥ هـ/ ١١٠١م وكان يبلغ من العمر خمس سنين ، وظل يحكم الخلافة حتى قتل في ذي القعدة عام ٥٢٤ هـ/ ١١٣٠ م ( ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ، ص ٨٧ ، ٩١).

وقد ذكرت بعض المصادر الفاطمية أنه كان تحدثه نفسه بالإغارة على بغداد، وأنه أعد بالفعل العدة لذلك[١]، وكان ذلك فى إطار العلاقات العدائية التى كانت بين الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية[٢]، ولهذا فمن الجائز أن تكون رواية ابن أبى طى صحيحة، وقد يكون الخليفة الآمر بأحكام الله وافق على دخول الأمير دبيس بن صدقة مصر ليتعرف منه أكثر على أحوال بغداد وكيفية دخولها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان أخو الأمير دبيس الأمير «تاج الملوك بدران» قد دخل فى ذلك الوقت مصر وتوفى بها فى عام ٥٣٠ هـ/ ١١٣٥ ـ ١١٣٦[٣]، وقد يكون توسط لأخيه فى القدوم إلى مصر.

**قال ابن أبى طي: «وفيها (٥٢٤ هـ) قبض أصحاب تاج الملوك صاحب دمشق دبيس بن صدقة، وكان دبيس قد ورد قاصدا العبور إلى مصر لما ضاق عليه أمره بالعراق،وكاتب المصريين فأذنوا له فى الدخول إليهم، وكان ضمن لهم فتح العراق»[٤]**

ثم أوضح ابن أبى طى بعد ذلك أنه عند وصول دبيس بن صدقة إلى «حصن

---

(١) قيل إنه: « استعمل للسفر سروجا ... مجوفة وبطنها بصفائح قصدير فجعل فيها ماءا ، وفي كل منها مفتوح مقدار جواز صفارة فيه، فإذا دعت حاجة فارسه إلي الشرب شرب ، وجعله يحمل مقدار سبعة أرطال وعمل عدة مخالي الخيل من الديباج».(ابن الطوير:نزهة المقلتين ، ص ١٩ ؛ ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ١١٢ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ١٣١ ـ ١٣٢ )

(٢) منذ أن تولت الخلافة الفاطمية الشيعية المذهب مقاليد الأمور في مصر في عام ٣٥٨ هـ/ ٩٦٩ م ، والتي كانت إحدى الولايات التابعة للخلافة العباسية السنية المذهب ، بدأت العلاقات العدائية بين الخلافتين ، ودار بينهما صراع لبسط نفوذهم السياسي ومذهبهم الديني في باقي ولايات العالم الإسلامي ، وامتد هذا الصراع ووصل أحيانا حتى مقر ولاية كل منهما في بغداد و القاهرة . ( لمزيد من التفاصيل حول الصراع العباسي الفاطمي انظر : شيرين شلبي العشماوي : العلاقات السياسية بين مصر و الخلافة العباسية منذ العهد الفاطمي وحتى انتقال الخلافة العباسية إلي مصر ، الباب الأول ، ص ١٠ ـ ١٨٤ ، رسالة ماجستير )

(٣) ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ .

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٣ ، ورقة ١٤ .

صرخد»[١]، فكر فى تملك الحصن، فقال: «فلما نزل «حصن صرخد» كاتب رجلا كان فيه على أن يعمل له على الحصن[٢]. وكان أمير حصن صرخد قد توفى فى ذلك الوقت، وملكت الحصن بعده جاريته، فرغب دبيس بن صدقة فى الزواج منها ليصير إليه أمر الحصن[٣].

وفى تلك الأثناء علم الأمير «مكتوم بن حسان الكلبي»[٤] بأمر الأمير دبيس ابن صدقة، فقام بإلقاء القبض عليه وأرسله إلى «تاج الملوك بوري» ملك دمشق، وقد أورد هذا الخبر كثير من المؤرخين[٥]، وانفرد ابن أبى طى بينهم بذكر تفاصيل ضيافة الأمير مكتوم الكلبى لدبيس وطريقة إلقائه القبض عليه، وكان المؤرخ «العظيمي» قد ألمح إلى ضيافة مكتوم له[٦].

قال ابن أبى طى: «واتصل الخبر بصاحب دمشق فأنهد إليه الأمير «مكتوم ابن حسان بن سنان الكلبي»، وكان مكتوم خرج إليه... وحمل إليه ضيافة كثيرة وسقاه فلما سكر قام عليه وقبضه، وصار به إلى دمشق»[٧].

ولم ينته الحال بالأمير دبيس بن صدقة عند هذا الحد، حيث راسل أتابك عماد الدين

---

(١) صرَخَد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٠١ )

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٣ ، ورقة ١٤ .

(٣) العظيمي : المصدر السابق ، ص ٤٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٣٣ .

(٤) هو مكتوم بن حسان الكلبي : أمير قبائل كلب، وكانت منازله ( حلته ) تقع ضمن أعمال دمشق ، شرقي غوطة دمشق ، والغُوطَة تعني الكورة التي منها دمشق . ( ابن القلانسي : تاريخ دمشق ، ص ٣٦٦ ، هامش (١) ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٢٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٣٣ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢١٩ ) .

(٥) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٦٦ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٢٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٣٣ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ؛ أبو الفداء : المختصر ، ج ٣ ، ص ٥ ؛ الذهبي : المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٤٨٨ .

(٦) العظيمي : المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٧) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٣ ، ورقة ١٤ .

زنكى ملك دمشق وتفاوض معه بشأن إطلاق سراحه، وقد عرض ابن أبى طى فى روايته تفاصيل تلك المفاوضات،واتفق فيها مع معظم المؤرخين الذين تناولوا هذا الموضوع[١]

**قال ابن أبى طي: «وفى سنة خمس وعشرين (وخمسمائة) أرسل الأمير أتابك زنكى إلى صاحب دمشق، وطلب أن يرسل إليه دبيسا على أن يطلق له ولده «سونج»[٢] وكان فى اعتقال زنكى، فأرسله إليه وأطلق له ولده»[٣].**

وفى تلك الأثناء بلغ الخليفة المسترشد بالله خبر القبض على الأمير دبيس بن صدقة، فأرسل رسولا من قبله إلى ملك دمشق ليسلمه إليه، ولكن لم تسير الأمور كما يبغى الخليفة، وانتهى الأمر بوقوع رسوله لفترة فى قبض عماد الدين زنكى.

وتناول ابن أبى طى تلك الأحداث، واتفق فى مضمونها مع ابن القلانسى و ابن الأثير[٤].

**قال ابن أبى طى: «وكان قد اتصل بالمسترشد قبض دبيس فأرسل «سديد الدولة»[٥] كاتب الإنشا بمال وتحف إلى صاحب دمشق، ليتسلم منه دبيسا، فاتفق سبق أتابك زنكى**

---

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٦٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٣٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ؛ ابو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٧٨ ؛ الذهبي : المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٤٨٨ .

(٢) هو الأمير بهاء الدين سونج بن تاج الملوك بوري بن طغتكين : كان واليا علي حماة ، وتوجه في عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م إلي عماد الدين زنكي للاجتماع معه للخروج إلي الجهاد، فغدر به زنكي وقبض عليه ، ثم أفرج عنه في عام ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م ، وقتل سونج في عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م ، قتله أخوه الأصغر شمس الملوك ( ابن القلانسي : تاريخ دمشق ، ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٣٨٣ )

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٣ ، ورقة ٢٥ .

(٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٣٣

(٥) هو محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم الأنباري الملقب بسديد الدولة : كان يعمل كاتبا للإنشاء، وأرسل عدة مرات من قبل الخلافة العباسية رسولا إلي السلاطين والملوك ، وتوفي في رجب عام ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م وقد قارب علي التسعين من عمره.( ابن الجوزي:المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٢٠٦ )

عليه، فبطلت هذه الرسالة، واقتضت الحال أن يمضى سديد الدولة إلى أتابك زنكى ويحمل ما معه من المال إليه ويتسلم منه دبيسا، فعارض أتابك سديد الدولة بجماعة من أصحابه عليهم «أبو بكر الدُبيسي»، فقبض على سديد الدولة، واخذ جميع ما كان معه وحمله إلى الموصل معتقلا فلم يزل هناك إلى أن سأل فيه السلطان مسعود فأطلقه فصار إلى بغداد»[1].

أما بالنسبة لأحوال الأمير دبيس بن صدقة بعد تسليمه إلى أتابك عماد الدين زنكى، فقد لقى منه دبيس معاملة طيبة، وأكرمه إكراما كبيرا، وهذا ما أوضحته كتابات ابن الجوزى و ابن الأثير[2]، وذكر ذلك أيضا ابن أبى طى بمزيد من التفصيل، فقال: «وعمل أتابك زنكى لدبيس بن صدقة... كثيرا و أعطاه مالا وأمرا، وكان حسب أنه يقتله لما كان بينهما من «العداوة»[3]، فاحسن إليه غاية الإحسان، وعظمه غاية التعظيم

، وأجلسه إلى جانبه، ووعده الخروج معه بنفسه وتسليم بلاده الحلية إليه، وشاع ذلك فى الناس فاستحسنوا منه هذه الفعلة، لأنه عفى عنه بعد العداوة عليه»[4].

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٣ ، ورقة ٢٥ .

(٢) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٢٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٣٣ . وانظر أيضا : ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

(٣) ظهرت بوادر العداء بين الأمير دبيس بن صدقة وأتابك عماد الدين زنكي منذ عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م ، حيث تولي زنكي في ذلك العام مدينة واسط وشحنكية البصرة ، وظهر من كفايته في البلدين ما لم يظنه أحد، فهاب الأمير دبيس بن صدقة ناحيته . وفي نفس العام هاجم الأمير دبيس بغداد، فخرج زنكي لحربه ضمن قوات الخليفة المسترشد بالله ، وانتهت المعركة بهزيمة دبيس، وكان لزنكي أثر حسن في هذه الموقعة. كذلك كان قرار السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بتسليم الموصل إلي دبيس بن صدقة في عام ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م، ثم تغيير هذا القرار بعد ذلك لصالح عماد الدين زنكي وتوليته الموصل بدلا من دبيس أثره في سوء العلاقات بين زنكي ودبيس.(ابن الأثير:الكامل،ج٨،ص٣١١؛أبو شامة:الروضتين،ج١، ق١، ص٧٣-٧٤؛ابن خلكان:وفيات الأعيان،ج٢، ص٣٢٧-٣٢٨)

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٣ ، ورقة ٢٥ .

وقد كان لهذه العلاقة الطيبة التى قامت بين عماد الدين زنكى ودبيس بن صدقة أثر سيئ على الخليفة العباسى المسترشد بالله بعد ذلك، حيث تعاونا معا لغزو الخلافة العباسية فى بغداد فى عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١ - ١١٣٢ م، وقد أوضح المؤرخ ابن الأثير أنهما قاما بذلك بإيعاز من السلطان «سنجر بن ملكشاه»[١] الذى وعد كل منهما بامتيازات فى العراق، وذلك عقب وفاة السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه فى شوال عام ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م، حيث حدث بعد وفاته صراعا بين السلطان سنجر بن ملكشاه، والملك مسعود بن محمد بن ملكشاه، حول سلطنة دولة السلاجقة فى العراق، ووقف الخليفة المسترشد بالله فى هذا الصراع مع الملك مسعود واتفقا معا على حرب السلطان سنجر، فسار الملك مسعود إلى حربه وتأخر عنه الخليفة المسترشد بالله وعند خروج الخليفة علم بوصول قوات عماد الدين زنكى ودبيس بن صدقة فعاد إلى بغداد[٢].

وقد وصلنا من رواية ابن أبى طى تفاصيل المعركة التى دارت بين قوات أتابك عماد الدين زنكى ودبيس بن صدقة والخليفة المسترشد بالله العباسى، وأورد ابن أبى طى خبر هذه الموقعة ضمن أحداث عام ٥٢٧ هـ، وذكرها ابن الأثير وغيره من المؤرخين فى عام ٥٢٦ هـ[٣]، وحدد العظيمى تاريخها فى شعبان من السنة، وموقعها فى قرية «عقرقوف[٤]»[٥].

---

(١) هو السلطان الأعظم معز الدين سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان : ولد بمدينة سنجار الواقعة في بلاد الجزيرة في رجب عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م ، صارت إليه سلطنة دولة السلاجقة بعد وفاة أخيه السلطان محمد بن ملكشاه في عام ٥١١ هـ / ١١١٨ م ، حيث لم يبق في البيت السلجوقي أكبر ولا أعظم منه ، فاستقرت له السلطنة بعد كثير من الحروب التي خاضها مع أولاد أخيه ، وكانت مملكته تضم بلاد : خراسان وخوارزم وغزنة وبلاد ما وراء النهر ، وتوفي بمدينة « مرو » في ربيع الأول عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م . ( ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٥٥ ؛ الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٧٤ - ١٧٥ ، ص ٣١٦ ) .

(٢) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٢٥ - ٣٣٧ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٣٧ . وانظر أيضا : ابن الفرات: المصدر السابق ، ج ٣ ، ورقة ٣٧

(٤) عَـقْـرَقُـوف : قرية نواحي دجيل بالقرب من بغداد . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٣٧ ) .

(٥) المصدر السابق ، ص ٤٧ .

وقد لاحظنا انفراد ابن أبى طى بذكر الكثير من أحداث هذه المعركة، وكان ابن الأثير قد أورد بعض من أحداثها، واتفق فى جزء كبير من روايته مع الأحداث التى ذكرها ابن أبى طى، ولهذا نرجح أن كتابات ابن أبى طى كانت من مصادر ابن الأثير فى هذه المعركة. وسوف نوضح العبارات التى اتفق فيها ابن الأثير مع ابن أبى طى فى هامش الصفحة.

قال ابن أبى طى فى حوادث سنة سبع وعشرين (وخمسمائة): «وفيها قصد «أتابك زنكي» و«دبيس بن صدقة» بغداد، وبلغ ذلك الخليفة، وكان راجعا إلى بغداد... السير وغير إلى الجانب الغربى وقصد لقا أتابك و دبيس بنفسه، وكانت الحرب على «فرسخين»[1] من بغداد بالقرية المعروفة بعقرقوف. ولما تراءى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا {وحمل الأمير عماد الدين زنكى والأمير دبيس على ميمنة الخليفة وبها «جمال الدولة إقبال»[2]، فانهزموا منها}[3] ونكسا أعلامه وبلغت الهزيمة إلى بغداد، ولما رأى الخليفة ذلك وكان على موضع عال أراد تجريد سيفه، فلم يتمكن من انتصاب عنق الفرس وغلظها فدفع الفرس ليتحرك تحته ويسل سيفه فاندفع الفرس خطا فسل سيفه و أراد الحملة بنفسه، {وحمل «نظر الخادم» من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال، فانهزم دبيس، وأراد عماد الدين الصبر، فرأى الناس قد تفرقوا عنه فانهزم أيضا، وقتل من العسكر جماعة وأسر جماعة}[4]»[5].

وقد كانت أحداث هذه المعركة آخر ما وصلنا من تاريخ ابن أبى طى عن فترة خلافة

---

(١) يقدر الفرسخ بثلاثة أميال . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٦ ) .

(٢) جمال الدين إقبال المسترشدي الجاندار الخادم: تولي مدينة الحلة وأعمالها لفترة، وعظم شأنه في عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ - ١١٣٤ م فلقب « ملك العرب، « سيف الدولة » ، وخلع عليه خلع الملوك . وقام ببناء مدرسة في همذان عرفت باسمه ودفن فيها السلطان مسعود بن محمد عند وفاته في عام ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م.(ابن الجوزي:المنتظم،ج١٠، ص٣٤،٢٧؛ الحسيني: زبدة التواريخ، ص ٢٢٩ )

(٣) ورد هذا الجزء بالنص في رواية ابن الأثير . ( الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٤٧ ) .

(٤) ورد هذا الجزء أيضا بالنص في رواية ابن الأثير . (المصدر نفسه والصفحة ) .

(٥) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ٢ ، ج ٣ ، ورقة ٣٧ - ٣٨ .

الخليفة العباسي المسترشد بالله.

وفي ذي القعدة عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م قتل الخليفة العباسي المسترشد بالله، وبعد شهر واحد من مقتله قتل السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه الأمير دبيس بن صدقة، وقد اختلفت آراء كثير من المؤرخين حول أسباب قتل الأمير دبيس، فذكر ابن الجوزي

وابن الأثير أنه بعد مقتل الخليفة المسترشد بالله لم يعد دبيس بن صدقة يمثل أهمية للسلاجقة، لأنهم كانوا يبقون عليه ليكون عقبة في طريق المسترشد بالله[١]، وذكر ابن خلكان أنه قُتل للثأر منه لما فعل في حق الخليفة المسترشد بالله[٢]، كما أوضح العماد الأصفهاني أن السلطان مسعود قام بقتله بعد أن ساءت سيرته بين الناس، بعد أن اتهم بقتل الخليفة المسترشد بالله، فلجأ إلى قتل دبيس ليظن الناس أنه أخذ بذلك بثار الخليفة من دبيس ابن صدقة[٣].

وهذا الرأي الأخير ذكره أيضا ابن أبي طي، ولهذا نرجح أنه اعتمد على كتابات العماد الأصفهاني في روايته عن أسباب مقتل دبيس، وقد لاحظنا أيضا اتفاق كتاباته مع العماد الأصفهاني عند ذكره تفاصيل مقتل الأمير دبيس بن صدقة، وسوف نشير إلى هذا الاتفاق في هامش الصفحة[٤].

بدأ ابن أبي طي روايته عن مقتل الأمير دبيس بن صدقة بذكر نبذة عنه أورد فيها صفاته، ثم عرض بيتين من شعره، يشير من خلالهما إلى اهتمامه بكتابة الشعر فقال: «كان دبيس أميرا حصينا عاقلا... له شعر منه:

وأعجب من كل يوم سلامتي ... وما سلمت إلا وفي نفسها أمر

---

(١) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٥٣.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٥٤؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٥٠.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦٥. وانظر ايضا: العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج ٤، ص ٩٠.

(٤) المصدر السابق، ص ١٦٦.

ومـن ينفـق الـساعات فى جمـع مالـه مخافـة فقـر فالـذى فعـل الفقـر»[١]

ثم ذكر ابن أبى طى بعد ذلك رأيه فى أسباب تدهور أحوال الأمير دبيس بن صدقة بصفة عامة، فقال: «غير أن دبيسا لجاه ما فعله تحامل الملوك عليه، وإرادتهم إخراجه من منزل ولايته فعمل ما عمل»[٢].

ورأى ابن أبى طى هذا نعتقد أن فيه تحيزا من جانبه للأمير دبيس بن صدقة، وذلك باعتباره شيعيا مثله، حيث تسبب الأمير دبيس بكثرة حملاته على الخلافة العباسية ـ والتى أورد ابن أبى طى بعض منها فى رواياته السابقة ـ فى سوء علاقته مع الخلافة العباسية.

وأشار ابن أبى طى بعد ذلك فى روايته عن مقتل الأمير دبيس بن صدقة إلى علاقته بالسلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه والتطور الذى طرأ عليها، وقد لاحظنا أن ابن أبى طى انفرد بذكر تفاصيل العلاقة بين السلطان مسعود والأمير دبيس بعد مقتل الخليفة المسترشد بالله، وكذلك انفرد بذكر المراسلات التى دارت بين الأمير دبيس وأتابك عماد الدين زنكى فى ذلك الوقت.

قال ابن أبى طى: «وما زال منذ مات أبوه مشردا مطرودا إلى أن اختص بالسلطان مسعود، وقرب من قلبه، ونزل منه منزلة عظيمة، ثم أن دبيس أحس بتغير السلطان مسعود عليه منذ قتل المسترشد بالله، فكان يغره على الهرب تارة ويحجم الأخرى، وكان ربما سار الفرسخ والفرسخين ثم يرجع. وكاتب دبيس بذلك عماد الدين أتابك زنكى فأشار عليه بالهرب، وقال له أتابك زنكى: أهرب إلى العراق وكُن به وأكون أنا بالموصل، فلا يدخل العراق إلا من تريد و لا يدخل الجزيرة إلا من أريد»[٣]

---

(١) علق ابن الفرات ـ بعدما أورد نص رواية ابن أبي طي ـ علي هذين البيتين وقال : « هذان البيتان لأبي الطيب المتنبي الشاعر المشهور من جملة قصيدة » . ( المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ١٠ ) .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ٢ ، ج ٤ ، ورقة ١٠ .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ٢ ، ج ٤ ، ورقة ١٠ .

ثم أوضح ابن أبى طى أسباب قيام السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بقتل الأمير دبيس بن صدقة وتفاصيل مقتله، واتفق ابن أبى طى فى جزء من روايته فى هذا النص مع العماد الأصفهانى - كما أشرنا من قبل - وانفرد بذكر بعض التفاصيل الأخرى، وسوف نشير إلى هذا فى هامش الصفحات القادمة.

قال ابن أبى طي: «{ولما كثرت على السلطان مسعود الشناعة بسبب قتل المسترشد بالله، وقع فى نفسه أن يقتل دبيسا و أنه إذا قتله... الخليفة إليه، وأنه اقتص منه}[1]، {ثم أن بعض خواص السلطان مسعود ومن له إطلاع على أحواله راسل دبيسا ليلة قتله وأعلمه بما فى عزم السلطان له، فركب وسار هاربا من العسكر نحوا من فرسخين فلحق بصاحب له وأعلمه أن السلطان مسعود قد رحل من ذلك المنزل إلى منزل آخر، فقال:... اليوم فان السلطان مشتغل بالرحيل فتأهب..... فعاد والسلطان قد نزل المنزل الآخر، وحضر دبيس...السلطان وجلس بين الأمرا ينتظر الإذن له}[2]، {إذ جاه من ورايه «وشاقي» فضربه بالسيف فابان رأسه و سال على بساط السلطان مسعود دمه، وكان بين قتل الملك دبيس و بين قتل الخليفة المسترشد بالله شهر واحد[3]}[4].

وختم ابن أبى طى روايته عن مقتل الأمير دبيس بن صدقة ببيت من الشعر قاله الشاعر «الحيص بيص»[5] يشير فيه إلى الفارق الزمنى القصير بين وفاة الخليفة المسترشد

---

(١) اتفق ابن أبي طي في هذا الجزء مع العماد الأصفهاني. ( تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٦٦ ، اختصار البنداري ) .

(٢) انفرد ابن أبي طي بتفاصيل هذا الجزء ، ولعله اعتمد فيه أيضا على العماد الأصفهاني وبعد اختصار البنداري لجزء كبير من تاريخ العماد لم يصل إلينا في كتابات العماد .

(٣) اتفق ابن أبي طي في هذا الجزء أيضا مع العماد الأصفهاني . ( المصدر السابق ، ص ١٦٦ ) .

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ١٠ ـ ١١ .

(٥) هو أبو الفوارس سعد بن محمد التميمي الملقب شهاب الدين : كان فقيها شافعيا ، وغلب عليه الأدب ونظم الشعر ، وله رسائل بليغة ، عرف بالحيص بيص لأنه رأي الناس يوما في حركة مزعجة فقال ما للناس في حيص بيص فبقي عليه اللقب ويعني « الشدة والاختلاط » ، وتوفي في شعبان عام ٥٧٤ هـ / ١١٧٩ م ببغداد . ( ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٥ ) .

بالله والأمير دبيس بن صدقة فقال: «وفيه يقول الحيص بيص الشاعر المشهور:

أبكى فبين الأحمرين هلال

يعنى الخليفة المسترشد بالله ودبيس وكانا أشقرين. وكان قتل دبيس على باب«خوي»[١] غريبا شريدا فى حادى وعشرين ذى الحجة من هذه السنة»[٢].

علاقة السلاجقة ودمشق:

عرض ابن أبى طى فى أحداث عام ٥٠٩ هـ/ ١١١٥ م الاجتماع الذى تم فى بغداد بين السلطان السلجوقى محمد بن ملكشاه و«أتابك ظهير الدين طغتكين»[٣] أمير دمشق.

وكان أتابك «طغتكين قد حقق فى شهر جمادى الآخرة من ذلك العام انتصارا على الصليبيين، حيث تمكنت قواته من إعادة مدينة «رفنية»[٤] والتى كان الصليبيون قد

ملكوها من قبل، وشاع خبر هذا الانتصار فى العراق، فحسده لذلك بعض المقربين من السلطان محمد بن ملكشاه، وتكلموا فى حقه ما يؤدى إلى سوء العلاقات بينهما، وعلم أتابك طغتكين بهذا الأمر فقرر الذهاب إلى السلطان محمد ابن ملكشاه واخليفة المستظهر

---

(١) خوَيّ : بلد مشهور من أعمال أذربيجان . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ ) .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ١١ .

(٣) ظهير الدين طغتكين : كان من مماليك السلطان السلجوقي « تُتُش بن ألب أرسلان بن سلجوق » ، ثم عتقه وجعله أتابكا لولده « دقاق » واعتمد عليه في تربيته وكفالته ، وأنابه عنه في ولاية دمشق ، ثم ولاه « ميافارقين » . ولما تولي دقاق بن تتش دمشق في عام ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م بعد وفاة والده في ذلك العام اعتمد عليه دقاق في تدبير شئون دمشق ، ثم عهد إليه عند مرضه في عام ٤٩٧ هـ/ ١١٠٤ م بولاية دمشق من بعده ، فتولاها طغتكين عقب وفاة دقاق في رمضان من السنة ، وظل واليا عليها حتى وفاته في صفر عام ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨ م ( ابن القلانسي : تاريخ دمشق ، ص ٢١٣ ـ ٢١٤ ، ٢٣٣ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ) .

(٤) رَفَنِيَة : كورة ومدينة تتبع حمص . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٥ ) .

بالله العباسى فى بغداد للتقرب إليهما وإعادة العلاقات بينهما إلى سابق عهدها[١].

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن ابن أبى طى لم يكن دقيقا فى كتابة تاريخ العام الذى حدث فيه اللقاء بين السلطان محمد بن ملكشاه و أتابك طغتكين، حيث ذكر أن اللقاء بينهما تم فى أول يوم من عام ٥٠٩ هـ/ ١١١٥ م، بينما ذكر ابن القلانسى وابن الأثير أن أتابك طغتكين وصل إلى بغداد فى ذى القعدة من عام ٥٠٩ هـ/ ١١١٦ م[٢]، وهذا الخطأ الذى وقع فيه ابن أبى طى - والذى أشرنا إليه من قبل فى مقدمة هذا الفصل - تكرر فى تواريخ كثيرة من الأحداث الأخرى التى سوف نذكرها فيما بعد. قال ابن أبى طى: «فى أول يوم من سنة تسع وخمسمائة جلس السلطان محمد للأمير طغتكين أتابك صاحب دمشق فلما دخل عليه أكرمه إكراما تاما»[٣].

ثم تناول ابن أبى طى بعد ذلك تفاصيل الهجوم الذى تعرض له أحد أمراء السلطان محمد بن ملكشاه وهو الأمير «أحديل بن وهسوذان»[٤]، من قبل ثلاثة من قوات فرقة «الباطنية»، وذلك أثناء اجتماع أتابك طغتكين مع السلطان محمد بن ملكشاه فى بغداد. وانفرد ابن أبى طى بذكر تفاصيل هذا الهجوم، وأسباب وقوعه. وكان ابن القلانسى وابن الجوزى وابن الأثير قد ذكروا هذا الموضوع باختصار لا يتعدى بضعة أسطر، وأوضحوا أن هذا الحادث وقع فى شهر المحرم عام ٥١٠ هـ/ ١١١٦ م، كما ذكروا أن الأمير أحديل قتل فى هذا الهجوم[٥]، وكان ابن أبى طى قد أوضح أنه حُمل إلى داره بعد الهجوم عليه، ولم يشر

(١) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص ٣٠٦-٣٠٧؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص ٣٠٧؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٧٣.

(٣) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ح ١، ورقة ٨٩.

(٤) هو أحديل بن إبراهيم بن وهسوذان الروادي الكردي: كان واليا علي «مراغة» و غيرها من البلاد في منطقة «أذربيجان»، وقتل في المحرم من عام ٥١٠ هـ/ ١١١٦ م. (ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٧٤).

(٥) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص ٣١٥؛ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج ٩، ص ١٨٥؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٧٤.

إلى وفاته.

قال ابن أبى طي: «و حضر المجلس جماعة من أمرا الدولة وأعيان المملكة، من جملتهم: الأمير «أحمديل أبو شجاع بن إبراهيم بن وهسوذان»، وكان ركب فلما قارب خيمة السلطان اعترضه رجل فى زى أهل الشام، و معه رقعة فناوله إياها واقسم عليه أن يحملها إلى السلطان، فلما تناولها منه ضربه بسكين، فأخطأه، ووثب الأمير أحمديل عليه، و تركه تحته و تفرق الناس عنه عند الاختلاط فجاه آخر وهو يقول: ..... مستحسنا الفعلة، فلما قرب منه ضربه بسكين فى «ترقوته»، وجاء آخر فقضى عليه، وقتل الثلاثة، وكانوا باطنية، فازداد.... وظنوا أن المقصود بالقتل إنما كان الأمير أتابك طغتكين صاحب دمشق. وكان أحمديل قد تجرد فى أمر الباطنية وحاربهم عدة دفعات، ونازل قلاعهم، ولما وقع الصوت قام السلطان محمد، وخرج الأمير طغتكين مسرعا و ركب فرسه، وسار إلى خيمة بالجانب الغربى، وقد ارتاع وانزعج، فهنأه الناس بالسلامة، وحمل الأمير أحمديل إلى داره، وكان شابا حسنا شجاعا، وكان على حشمته طيب الأخلاق.... وكانت رجاله خمسة آلاف فارسا، وعاد الأمير طغتكين إلى دمشق سالما»[١].

ثم أشار ابن أبى طى بعد ذلك فى أحداث عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ ـ ١١١٦ م إلى عودة السلطان محمد بن ملكشاه إلى مدينة أصفهان، ولم يكن أيضا هنا دقيقا فى ذكر هذا التاريخ، حيث كان السلطان محمد قد وصل إلى بغداد ـ كما ذكر ابن الأثير ـ فى رجب عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م[٢]، وظل مقيما ببغداد طوال عام ٥١٠ هـ / ١١١٦ ـ ١١١٧ م وذلك حسب رواية ابن الجوزى[٣].

قال ابن أبى طى: «فيها (٥٠٩ هـ)عاد السلطان محمد إلى أصفهان»[٤].

---

(١) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١ ، ح ١ ، ورقة ٨٩ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٧٣ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ١٨٤ .

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٩٢ .

ثالثا ـ كتابات ابن أبى طى عن تاريخ دولة السلاجقة الداخلى:

تناول ابن أبى طى فى أولى كتاباته عن هذا الموضوع العلاقة بين السلطان محمد بن ملكشاه وأحد أمراء السلاجقة فى عام ٥٠١ هـ/ ٧ ـ ١١٠٨ م، وقد وصلنا من كتابات ابن أبى طى عن هذه العلاقة الجزء الأخير من أحداثها.

وكان أحد أمراء السلاجقة وهو الأمير «أياز»[١] قد دخل فى صراع مع السلطان محمد فى عام ٤٩٨ هـ/ ٤ ـ ١١٠٥ م، وانتهى هذا الصراع بمقتل الأمير أياز وتفرق أصحابه فى البلاد[٢]، وكان من بينهم الأمير «صباوو» فسار إلى دمشق[٣].

وفى عام ٥٠١ هـ/ ٧ ـ ١١٠٨ م عاد هذا الأمير إلى السلطان محمد فأكرمه وأعاد إليه إقطاعه. وقد ذكر ابن أبى طى تفاصيل ذلك، كما أوردها أيضا ابن الأثير، واتفقت كتاباته مع رواية ابن أبى طى، وذلك من حيث الأسلوب، وكذلك من حيث تسلسل كتابته عقب أول الأحداث التى بدأنا بها كتابات ابن أبى طى عن العلاقة بين الخلافة العباسية ودولة السلاجقة[٤]. كما أضاف ابن أبى طى على رواية ابن الأثير وذكر اسم الأمير صباوو كاملا.

قال ابن أبى طى: «ورد على السلطان محمد الأمير «أصبهبذ صباوه يزجهار مكين» من الشام، وكان هرب عند قتل «اياز» فاحسن تقبله، وأعاد عليه إقطاعه، وزاده «رحبة مالك

---

(١) أياز: كان من مماليك السلطان ملكشاه (٤٦٥ ـ ٤٨٥ هـ/ ٧٢ ـ ١٠٧٣/ ١٠٩٢ م)، ثم عمل مع السلطان بركياروق بن ملكشاه (٤٨٥ ـ ٤٩٨ هـ/ ١٠٩٢ ـ ١١٠٥ م)، و قتل أياز في جمادى الآخر عام ٤٩٨ هـ/ ١١٠٥ م. وكان عمره قد جاوز أربعين سنة. (ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ١٤١ ـ ١٤٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٢) للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر: (ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ١٤٢ ـ ١٤٣؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧).

(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٥١.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

بن طوق»[١]»[٢].

ثم عرض ابن أبى طى فى أحداث عام ٥٠٣ هـ/ ٩ ـ ١١١٠ م إحدى المعارك التى خاضها السلطان السلجوقى «سنجر»[٣]، مع قوات بلدة «كافر ترك»[٤] وكانوا قد قاموا ـ كما أوضح «ابن القلانسي»ـ بالإغارة على بعض المناطق التابعة للملك سنجر، فتمكنت قواته من هزيمتهم[٥].

وقد وصلنا من كتابات ابن أبى طى ملخصا لأحداث هذه الواقعة، و اتفق فيها مع ما ذكره ابن القلانسى. قال ابن أبى طى: «كانت وقعة بين الملك سنجر وبين «كافر ترك» وقعه، وكان الظفر فيها لسنجر»[٦].

وأشار ابن أبى طى فى أحداث عام ٥٠٩ هـ/ ١٥ ـ ١١١٦ م إلى وفاة اثنين من الامراء السلجوقية فذكر وفاة الأمير «برسق بن برسق»، الذى كان واليا على «همذان»، وذكر

---

(١) رحَبة مالك بن طَوْق : تقع بين الرقة وبغداد علي شاطئ الفرات . ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٤ ) .

(٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٦ .

(٣) هو أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن سلجوق : ولد في رجب عام ٤٧٧ هـ/ ١٠٨٤ م في بلد سنجار ، صار إليه ملك أملاك دولة السلاجقة في خراسان ، وبعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه في عام ٥١١ هـ/ ١١١٨ م ، لم يبق في البيت السلجوقي أكبر وأعظم من الملك سنجر فانتقلت إليه السلطنة وانتقل كرسي السلطنة من العراق إلي خراسان وتوفي السلطان سنجر في ربيع الأول عام ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧ م . ( العماد الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٣٦ ، ٢٤١ ؛ الحسيني : زبدة التواريخ ، ص ١٣٥ ، ١٧٤ ) .

(٤) كافر ترك : اسم لبلد، لم تحدد موقعه كثيرا من المصادر الجغرافية التي رجعنا إليها. وقد أشار المؤرخ « الحسيني » إلي هذا البلد أثناء ذكره إذعان ملك كافر ترك « يعقوب بن بغاتكين » لطاعة السلطان « ملكشاه بن ألب أرسلان » ( ٤٦٥ ـ ٤٨٥ هـ/ ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢ م ) . ( نفس المصدر ، ص ١٥٠ ) .

(٥) ابن القلانسي : تاريخ دمشق ، ص ٢٧٠ .

(٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٣٦ .

أحوال ولايته من بعده فقال: «وفيها رجع الأمير «برسق بن برسق» بعد «الكسرة»[١] إلى همذان، وتوفى بها، فأقر السلطان محمد ولده على ولاية همذان»[٢].

كما أشار ابن أبي طى فى نفس هذا العام لأحوال الأمير زنكى بن برسق، أخو «الأمير برسق»، وذكر وفاته أيضا فى عام ٥٠٩ هـ، و أورد ابن الأثير خبر وفاته فى عام ٥١٠ هـ[٣]، قال ابن أبى طى: «وفيها أعاد السلطان محمد الأمير زنكى بن برسق إلى دمشق ووعده بإنفاذ العساكر إليه ليقاتل الفرنج فتوفى فى عوده»[٤].

وبهذا نكون قد انتهينا من عرض ودراسة كتابات ابن أبى طى عن تاريخ الخلافة العباسية ودولة السلاجقة، ومن خلالها اتضح أن كتابات ابن أبى طى لم تقتصر على تاريخ الشام ومصر وإنما غطت معظم أنحاء العالم الإسلامى.

(١) للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر: ( ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ ) .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ، ج ١ ، ورقة ٩٢.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٧٢.

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٩٢ .